

﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: 63]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا قَالَ لُوطٌ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ وكانت حقيقة المنكر هي فيما خرج عن عادة أشكاله، ولم يكن على طريقة أمثاله، أَضْرَبُوا عَنْ قَوْلِهِ، وَكَانَ جَوَابُهُمْ أَنَّ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾⁽¹⁾. وَأَيْضًا لَمَّا قَالَ لَهُمْ لُوطٌ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ ذَلِكَ؛ إِضْرَابًا عَنْ قَوْلِهِ وَإِبْطَالًا لِمَا ظَنَّهُ مِنْ كَوْنِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفْ قَبِيلَتَهُمْ فَلَا يَأْمَنُهُمْ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِمَا يَضُرُّهُ⁽²⁾.

المواصلة بتوجيه
نظر لوط، إلى
ما هو أهم وأولى
من الإنكار

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَمْتَرُونَ﴾: أَصْلُ الْمَرِّيِّ مِنْ: مَرَيْتُ النَّاقَةَ: إِذَا مَسَحَتْ ضَرْعَهَا لِلْحَلَبِ⁽³⁾، وَالْمَرِيَّةُ: التَّرَدُّدُ فِي الْأَمْرِ، وَهُوَ أَخْصُ مِنَ الشَّكِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج: 55]⁽⁴⁾، وَالَامْتِرَاءُ: الْمُحَاجَّةُ فِيهِمَا فِيهِ مَرِيَّةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: 34]. وَالْمِرَاءُ أَيْضًا: الْجِدَالُ، وَالْمُمَارَاةُ: الْمُجَادَلَةُ عَلَى مَذْهَبِ الشَّكِّ وَالرَّيْبَةِ، وَيُقَالُ لِلْمُنَاطَرَةِ مُمَارَاةً؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ وَيَمْتَرِيهِ كَمَا يَمْتَرِي الْحَالِبُ مِنَ الضَّرْعِ⁽⁵⁾. وَالْمَقْصُودُ بِالِامْتِرَاءِ فِي الْآيَةِ: الشَّكُّ، أَيْ: بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ قَوْمُكَ يَشْكُونَ فِي حُلُولِهِ بِهِمْ، وَهُوَ الْعَذَابُ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/71.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/63.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مري).

(4) الراغب، المفردات: (مري).

(5) الزبيدي، تاج العروس: (مري).

✽ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ
لِنَجْدَةِ لُوطٍ،
وَتَصْدِيقِ وَعِيدِ
اللَّهِ، لَا يَأْخِيفُهُ
وَيُؤْذِيهِ

الآية حكاية لما رَدَّ به الملائكةُ على لوطٍ؛ لكي يُزيلوا ضيقَه بهم، وكرَاهيتَه لوجودهم عنده، فقالتِ الملائكةُ له: بل نحنُ ملائكةُ الله، جِئْنَاكَ بعَذَابٍ قَومِكَ، الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَخَفُّونَ بِمَا أَنْذَرْتَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنِقْمَتِهِ، أَي: إِنَّا لَمْ نَجِئْ بِمَا يَخِيفُكَ، بَلْ جِئْنَا بِالْبَلَاءِ الَّذِي كُنْتَ تَتَوَعَّدُ بِهِ الْقَوْمَ فَيَمْتَرُونَ فِيهِ، وَيُكَذِّبُونَ بِهِ، فَهَذَا هُوَ مَا جِئْنَاكَ بِهِ⁽¹⁾.

✽ الإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بَلَاغَةُ الاسْتِثْنَاءِ الْبَيَانِي فِي الْآيَةِ:

مَا يَلْفِظُ الْمَلَائِكَةُ
مِنْ قَوْلٍ، إِلَّا لَهُ
أَهْمِيَّةٌ وَأَثَرٌ فِي
سَامِعِهِ

وردتِ الآيةُ على طريق الاستِثْنَاءِ الْبَيَانِي، لتوجيهِ أَسْمَاعِ الْمُخَاطَبِينَ إِلَى الْاهْتِمَامِ بِالْمَقَاوِلَةِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَلُوطٍ ﷺ.

بَلَاغَةُ التَّعْبِيرِ عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ:

تَنْبِيهُ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَى أَنْ يَكُونَ
السَّؤَالُ عَنِ
الْأَهَمِّ

إِنْ حُمِلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ عَلَى إنْكَارِ مَعْرِفَةِ لُوطٍ بِالْمَلَائِكَةِ، كَانَ الْإِضْرَابُ فِي قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ عَلَى طَرِيقِ الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ، فَيَكُونُ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ تَلْقَى الْمُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ تَلْقَى السَّائِلَ بِغَيْرِ مَا يَتَطَلَّبُ، وَذَلِكَ بِتَنْزِيلِ كَلَامِ لُوطٍ ﷺ مِنْزِلَةَ السَّؤَالِ عَنْهُمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ الْإِضْرَابُ لَا يُوَافِقُ مَا قَبْلَهُ مِنْ إنْكَارِ لُوطٍ لَهُمْ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ؛ لِأَنَّ لُوطًا أَنْكَرَ مَعْرِفَتَهُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَجَاءَ جَوَابُهُمْ فِي بَيَانِ سَبَبِ مَجِيئِهِمْ، وَلَيْسَ فِي التَّعْرِيفِ بِهِمْ، وَفَائِدَةُ الْعُدُولِ إِلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ هُوَ تَنْبِيهُ لُوطٍ ﷺ إِلَى مَا هُوَ أَهَمُّ لَهُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ سَبَبِ مَجِيئِهِمْ وَأَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلَى بِالْقَصْدِ فِي السَّؤَالِ، وَينْدَرُجُ فِيهِ مَعْرِفَتُهُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/86، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/38، والسَّعْدِي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 433، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/250.

بهم؛ لعلمه أنه لا يأتي بالعذاب إلا الملائكة، وذهب الماتريدي إلى أن الإضراب جاء عن كلام مطوي للإيجاز، كما بُيِّت عليه هذه القصة، فيكون الكلام على مقتضى الظاهر، ويكون الملائكة قد قالوا ذلك له، بعد ما كان بين لوط وقومه مجادلات ومخاصمات كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفَى فَلَا تَفْضَحُون﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾، وغير ذلك من المخاصمات، وقد كان لوط يعدُّهم العذاب بصنيعهم الذي كانوا يصنعون؛ ولذلك قالوا له: ﴿أَنْتَبْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29]؛ فعند ذلك قال: ﴿بَلْ جِئْتَكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، فيكون قد حذف جملاً للإيجاز مع وضوح المعنى⁽¹⁾، وإن حمل قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ على الكناية كما تقدّم كان الإضراب على مقتضى الظاهر؛ لأنه جواب لقول لوط ﷺ.

فائدة التعبير بـ ﴿بَلْ﴾:

تحتمل ﴿بَلْ﴾ أن تكون إضراباً إبطالياً عن موجب الخوف المذكور، فيكون كنايةً كما تقدّم، والمعنى ما جئناك بما تُكرِّنا لأجله، أو ما جئناك بشيء تخافه، بل بما يسرك وتقرُّ به عينك، فلا تخف ولا تحزن، وبيان وجه هذا المعنى أنه لما كان مجيء العذاب مُستلزماً للسرور والذين جاؤوك بالسرور والتشفي من أعدائك لا يخاف منهم ولا يُنكرون، كان مأل المعنى: لا تخف منا ولا تُكرِّنا، كما تحتمل أن تكون إضراباً إبطالياً عما فهمه لوط ﷺ من أن يُصيبوه بشرٍّ أو أن يتركوا نُصرته، والمعنى ما خذلناك وما خَلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يُدمرهم من العذاب الذي كانوا يُكذِّبونك حين كنت تتوعدُّهم به⁽²⁾، والجمع بين المعنيين جائز، ويحتمله السباق والسياق.

رسل الله من
الملائكة لا تخذل
عباده، بل تأتي
بما يسرهم ولا
يُحزنهم

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/451، والآلوسي، روح اللعاني: 7/311.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 6/488، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/82، والقونوي، حاشيته

على تفسير البضاوي: 11/182، والآلوسي، روح اللعاني: 7/311.

سبب إيثار التعبير بالماضي ﴿جَنَّتْكَ﴾:

ما أخبر به الله،
فسوف يتحقق
بإذن الله

عُبرَ بصيغة الماضي للإيذان بتحقيق مجيء العذاب، وأنه واقعٌ
لامحالة⁽¹⁾.

سبب إيثار ﴿جَنَّتْكَ﴾ في السياق:

سرور المؤمنين
بالتشفي من
عدوهم،
وتفويض
العذاب إلى
رسولهم

قوله تعالى: ﴿جَنَّتْكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، لم يقل: (جَنَّتَهُمْ
بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ)، وسبب إيثار نسبة المجيء بالعذاب إليه ﷺ
مع أنه نازل بالقوم؛ للإشعار بأنه يكون بطريق تفويض أمر العذاب
إلى لوط ﷺ لا بطريق نزوله عليه، كأنهم جاؤوه وفوضوا أمر العذاب
إليه، ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به، ففيه تكريمٌ للوط ﷺ،
كما أن في هذه النسبة إشعارًا بالسُّرور والتشفي من عدوّه ولما يلزمه
من نجاته مع أتباعه⁽²⁾.

دلالة (الباء) في قوله ﴿بِمَا﴾:

العذاب واقعٌ
على قوم لوطٍ،
لا مفرٍّ منه، ولا
منأى عنه

تحتملُ (الباء) أن تكونَ لتعديّة الفعلِ (جاء)، إلى الاسمِ
الموصولِ (ما)، وهو الظاهرُ، أي جاؤوا لوطًا ما كانوا فيه يمترون،
على معنى تفويضِ العذابِ إليه وإدخالِ السُّرورِ إلى قلبه، والتشفي
من عدوّه كما تقدّم، كما تحتملُ أن تكونَ للملابسة⁽³⁾، بمعنى ملابسةِ
عذابِ قومِ لوطٍ لمجيئهم؛ لأنهم مأمورون به، فيفيدُ أنَّ العذاب واقعٌ
لامحالة.

فائدة التعبير (ما) في الآية:

وقوعُ العذابِ
على المُجرمين،
إثباتٌ لصديقِ
رسولهم،
وصحةُ رسالته

أفاد التعبيرُ بالاسمِ الموصولِ (ما) الذي يفيدُ العمومَ تعظيمَ
العذابِ الذي جاءهم، ولم تقل الملائكة (بل جئنَاكَ بعذابِهم الذي
كانوا فيه يمترون)، مع حصولِ الغرضِ الأصلي، ليتضمّنَ الكلامُ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 11/83.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/84، والقونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 11/183.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 11/183.

الاستثناس من وجهين: أحدهما تحقق عذابهم وتعظيمه بما دل عليه لفظ العموم (ما)، والثاني تحقق صدقه ﷺ؛ لأنهم كانوا يشكون في صدقه وصدق رسالته، فيه تذكير لما كان يكابد منهم من التكذيب⁽¹⁾.

بلغة المجاز المرسل في الآية:

قوله تعالى: ﴿جَنَّكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، فيه لما كان المعنى جَنَّكَ بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فكانوا فيه يمترون، كان الكلام على معنى المال، أي قد عبّر عن مآل ما صاروا إليه بعد تذكيرهم وتوعدهم بالعذاب، فتخطى ذكر السبب للإشعار بعظم امترائهم وقبحه، وأنه هو سبب وقوع العذاب عليهم⁽²⁾.

دلالة تركيب ﴿كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾:

أفاد التعبير بتركيب (كان يفعل) الإشارة إلى استمرار امترائهم ومواظبتهم عليه، وأنه كان جبلة فيهم وطبعاً لا يفارقهم⁽³⁾.

سبب إثارة التعبير بالوصول وصلته:

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، فيه عبّر بالاسم الموصول؛ للإيدان بوجه بناء الخبر وهو التعذيب، ليفيد الكلام أن شكهم في صدق لوط وفي رسالته وفي ما أوعدهم به هو سبب مجيئهم بالعذاب.

بلغة تقديم ﴿فيه﴾ على ﴿يَمْتَرُونَ﴾:

أفاد تقديم الجار والمجرور ﴿فيه﴾، على متعلقه تأكيد امترائهم في العذاب، للإشعار بعظم ما وقعوا فيه من الامتراء، وفي التقديم رعاية الفاصلة كذلك⁽⁴⁾.

الكلام على
معنى المال،
بهادكهم بما
ازتكبوا من قبيح
الأعمال

الاستمرار على
المنكر، يوصل
إلى التطييع عليه
وتعوّده

الشك في صدق
الرسول سبب
لوقوع العذاب،
بلا ارتياب

للتقديم أثر في
الدلالة، وفي
رعاية الفاصلة

(1) الألوسي، روح المعاني: 7/311.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/214، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/183.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/71، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/183.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/183.

دلالة الحرف (في) على الظرفية:

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، حيث أفاد حرف الجرّ (في) الذي هو للظرفية شدة امترائهم في ما أوعدهم به لوطنهم، حتى صار ظرفاً لامترائهم حاوياً له، ليفيد أنهم كانوا يشكون شكاً عظيماً.

سرّ التعبير بالمضارع ﴿يَمْتَرُونَ﴾:

عبّر بصيغة المضارع للإشعار بتجدد امترائهم واستمرارهم عليه، لئلا يتركوا قبيح نزواتهم وانحرافهم، وفيه تصوير لحالة الامتراء التي كانوا عليها تقبيحاً لها.

دلالة صيغة ﴿يَمْتَرُونَ﴾ في السياق:

أفاد التعبير بصيغة (يفتعل) أنهم كانوا يتكلفون الشك ويجتهدون في طلبه وتحصيله، لأن الامتراء هو تكلف المرية⁽¹⁾.

نكتة التعبير بلفظ ﴿يَمْتَرُونَ﴾:

عبّر بـ ﴿يَمْتَرُونَ﴾ دون يشكون؛ لأن الامتراء هو طلب التشكك مع ظهور الدليل⁽²⁾، فيشعرُ التعبير باللفظ أنهم كانوا على علم بالحق الذي جاء به لوطنهم وبما أوعدهم به لظهور الدليل، ولكنهم كانوا يطلبون الشك فيه من أجل تكذيبه حرصاً على شهواتهم القبيحة، ولما كانوا مكذّبين بلوط وما جاء به عبّر عن تكذيبهم بـ ﴿يَمْتَرُونَ﴾؛ لأنّ الجاهل يوصف بالشك وإن كان مكذّباً من جهة ما يعرض له منه، من حيث إنّه لا يرجع إلى ثقة فيما هو عليه، فكأنّ بقاءه على الشك مع وضوح الدليل إيدان بالتكذيب، ومن شك في شيء مع وضوح صدقه وظهوره كان مكذّباً فيه⁽³⁾.

(1) الحرالي، تراث أبي الحسن الحرالي، ص: 274.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 8/385.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/71.

الانحراف
عن الفطرة
الإنسانية،
يغمي عن
الحقائق

تجدد امتراء
المُحرفين، دون
أن يتركوا قبيح
نزواتهم

سعى المنحرفين
في طلب
الشك الأثيم،
والاستمرار في
انحرافهم

طلب المنحرفين
الشك في صدق
الرسالات من
أجل تكذيبها

❖ الفروق المَعْجَمِيَّة:

الامتراء والشك والتردد:

المِرْيَةُ هي الترددُ في الأمرِ مع ظهور الدليلِ، والمِرَاءُ أخصُّ من الشكِّ؛ لأنَّ الشكَّ هو تَرَدُّدُ الذَّهْنِ بين أمرين على حدٍّ سواءٍ، وأمَّا المِرَاءُ فيكونُ أقربَ إلى التَّكْذِيبِ بسببِ اقترانه بظهور الدليلِ على صحَّةِ أحدِ الطَّرفَيْنِ، وأمَّا الرَّيْبُ فهو شكٌّ مع تَهْمَةٍ، ودلٌّ عليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]؛ فإنَّ المشركين - مع شكِّهم في القرآن - كانوا يَتَّهَمُونَ النَّبِيَّ بأنَّه هو الذي افتراه وأعانه عليه قومٌ آخرون، وكذلك يقال: إنِّي شاكُّ اليَوْمَ في المَطَرِ ولا يجوز أن يُقالَ: إنِّي مرتابُّ اليَوْمَ بالمطر، ويقال: إنِّي مرتابٌ بفلانٍ إذا كان شاكًّا في أمره واتَّهمه⁽¹⁾.

إذا ظهر الدليلُ
بطل الشكُّ
والترددُ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 99.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 25، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-22-7

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 25: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-22-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»